جوانب تأثُّر الأديب جوته الألمانيّ بالقرآن الكريم

Mohd Nizwan Musling

Senior Lecturer, Universiti Sains Islam Malaysia. mohdnizwan@usim.edu.my

ملخّص: من أعظم أدباء الألمان وله تأثُّر ملموسٌ بالأدب العربيّ والقرآن الكريم هو جوته. وقد عكف على تلاوة القرآن الكريم في ترجمتَيه الألمانية واللاتينية، ومن ثَمّ اقتبسَ عدداً كبيراً من الآيات القرآنية مباشراً كان وغير مباشر خلال عدة مؤلفاته. ولذا، فإن هذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن أبرز جوانب تأثُّره بالقرآن الكريم، بالاطلاع على الدراسات السابقة التي قامتْ بدراسة كتاب جوته المشهور (الديوان الشرقيّ للمؤلِّف الغربي) خاصةً، ومؤلَّفاته الأخرى عامةً، قبل تحليلها وتصنيفها إلى جوانب معيّنة. وأسفرت نتيجة الدراسة عن تأثُّر جوته بالقرآن الكريم يتجلَّى في خمسة جوانب رئيسة، وهي: إنشاء قصائده في (الديوان الشرقيّ)، وبيانه لجوهر الإسلام وحقيقته، وعرض القصص الدينيّ على مكان الحكمة ومضرب الأمثال ومواضع الاعتبار، والدعاء، وتشبيه حال نفسه بالفتية "أصحاب الكهف".

كلمات مفتاحية: جوته، الأديب الألمانيّ، الأدب المقارن، القرآن، التأثر.

المقدّمة

في أواخر القرن الثامن عشر من الميلاد بفرانكفورت، ظهر شاعر فحل وكبير أدباء الألمان وشاعرهم الأعظم يوهان ولفجانج جوته. ويعدُّ جوته رابعَ عظماء الشعر والأدب الغربيّ بعد الإغريقي "هوميروس"، والإيطالي "دانتي"، والبريطاني "شكسبير" (صدتي، عبد الرحمن. ١٩٦٧. ص: ١٣؛ غوته والإسلام. ٢٥ فبراير ٢٠١٤). وله تأثُّر بالغٌ بالأدب العربيّ والقرآن الكريم والنبيّ محمَّد صلى الله عليه وسلَّم، فضلاً عن الآداب والثقافات من الأمم الأخرى. والجدير بالذكر أنَّ أوَّلَ مَنْ أرشدَه للاطّلاع على الشعر العربيّ والقرآن الكريم معلِّمُه "يوهان جوجوتفريد هيرد"، وهو الفيلسوف اللغويّ والمستشرق الألمانيّ، بيدَ أنَّ جوته يعكِف على تلاوة القرآن مرتَيْنِ؛ في ترجمة ألمانية أنجزها المستشرق مرجلين، وأخرى في ترجمة لاتية سابقة لها.

ثمَّ بدا جلياً تأثُّره بالقرآن حينما اقتبس مجموعةً كبيرةً من الآيات القرآنية –نقلاً عن الترجمة الألمانية– في عدة مؤلَّفاته مثل (الديوان الشرقي للمؤلِّف الغربيّ). ووجد عبد الرحمن صدتي (١٩٦٧) أنه قد اقتبس الآيات القرانية في ١٦ موطِناً من ١٠ سورٍ، وهي: (البقرة: ١١٢، ١١٥، ١٧١، ١٧٧؛ آل عمران: ١٤٤،

وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢: ١١٥)، فهي تقول:

لله المشرقُ!

لله المغربُ!

والأرض شمالاً والأرض جنوباً

تسكن آمنةً ما بين يديه

وهذه الرباعيّة هي المطلع الذي استهل به مقطوعاته الشعرية المسماة (طلاسم) في كتاب المغني، وهو الكتاب الأول في ديوانه الشرقي. (كاتارينا مومزن، ترجمة عدنان عباس. ١٩٩٥. ص: ٢٣٨). كما يعمد جوته أحياناً إلى التضمين الصريح. ومن ذلك تضمينه للآية الكريمة: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة: ٢: ٢٦)، فيقول في مقطوعة له بعنوان التشبيه: (لم لا أصطنع من التشابيه ما أشاء، والله لا يستحيي أن يضرب مثلاً للحياة بعوضة).(عبد الرحمن. ١٩٦٧. ص: ٢٩).

٢. **تأثّره في بيان جوهر الإسلام وحقيقته.** وذلك يتجلّى في ثلاثة مبادئ إسلاميّة أساسيّة، وهي: توحيد الإله، والإذعان لمشيئته، وإرساله الأنبياء، والتي جُمعت في عبارته المشهورة تقول: "إنّ وحدانيّة الإله، والخضوع لإرادته، وتوسط نبي. كل هذا يتفق – في كثير أو قليل – مع معتقدنا وأسلوب تصوُّرنا". أما ما يتعلق بتوحيد الإله، فهو يرى أن الحق دائماً واحد، وأن أحقَّ الحق هو الإله الحق. لذا، يجب أن نشعرَ بوحدانيته، ونطمئنَّ إليها.

١٧٩؛ النساء: ١٤٣؛ المائدة: ٦٥؛ الأنعام: ٧٥، يونس: ١٠، يوسف: ٨؛ الإسراء: ٧٨؛ طه: ٢٥، العنكبوت: ٤٤، ٤٨، ٥٠). فالدراسة الحالية تحاول أن تكتشف الجوانب الرئيسة التي تناولها جوته مستمدَّةً من الآيات القرآنية التي من خلالها تُبرز أبرزَ ملامح تأثُّره بالقرآن الكريم تحديداً.

المنهج

أما المنهج الذي تعتمد عليه هذه الدراسة بغية تحقيق أهدافها فهو منهج وصفيّ تحليليّ، عن طريق تحليل النص. وذلك بالاطِّلاع على الدراسات السابقة التي قامتْ بدراسة كتاب جوته المشهور (الديوان الشرقيّ للمؤلِّف الغربي) خاصةً، ومؤلَّفاته الأخرى عامةً. ومن ثمَّ يتم تحليلُها وتصنيفُها حسب مواضيع معينة لتجلية أبرز جوانب تأثّر جوته بالقرآن الكريم.

النتائج والمناقشة

بعد الاطلاع على ثلةٍ من الدراسات السابقة التي تناولتْ عدَّة مؤلَّفات جوته، عثرنا على أنه قد تأثَّر بالقرآن الكريم جلياً في خمسة جوانب رئيسة، وهي:

١. **تأثّره في إنشاء قصائده في (الديوان الشرقيّ) استلهاماً من القرآن الكريم.** وتلك القصائد المستلهمة من القرآن، إما بطريقة مباشرة أم التضمين الصريح. ومن قصائده التي ألهمته الآيةُ الكريمة ﴿ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ

الأحوال، وفي حالات الوفاة على وجه الخصوص، بأنّ الله هو الذي يقضي ويقدّر: "إن حياتنا وأعمارنا رهن بمشيئة الله"(كاتارينا مومزن. ١٩٩٥. ص:٢١٤).

كما أنه (جوته) في كثير من مؤلفاته يدوّن بخط يده آيات كريمات تشير صراحةً إلى النبيّ محمد، مثل قوله تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٣: ١٤٤).

٣. **تأثّره في عرض القصص الدينيّ على مكان الحكمة ومضرب الأمثال ومواضع الاعتبار**. نجد جوته يقتصر عرضه للقصص الدينيّ على ذلك، ولم يعرضه معرض التاريخ والأخبار. مثلاً يقول أنَّ القرآن يردّد قواعدَ تعاليم الدين التي تتمثّل في آيات البقرة: ٢- ٧ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيه هُدىً لِلْمُتَّقِيْنَ .....إلخ﴾، وكذلك يكرّر البشير والنذير سورةً بعد أخرى، وهو (جوته) لا يرى في ذلك كما يراه النقاد الغربيون؛ لأنه يرى محمداً لم يُرسَل برسالة شاعر للتفنُّن في القول والتنويع في ضروب وعرض الصورة المزوقة من الأخيلة والأوهام، بل هو مرسَل لغرض مقدَّر مرسوم يتوخى إليه أبسط وسيلة وأقوم طريق لإعلان الشريعة وجمع الأمم حولها لينضووا تحت لوائها.

ويؤيّد ذلك قولُه في عبارة من أرقّ عباراته النثريّة: "إن الإيمان بالإله الواحد يؤثّر دائما تأثيراً يسمو بالروح، لأنه يرد الإنسان إلى وحدة داخله ذاته" (السيد العراقيّ. ١٩٩٠. ص: ١٧٢-١٧٣). فنراه يتفاعل وينفعل بقصة إبراهيم عليه السلام في بحثه - بين النجوم والأقمار- عن خالق هذا الكون الجدير بالعبادة، إلى أن يصل إلى حقيقة التوحيد، كما وردت في الآيات (٧٥-٧٩) من سورة الأنعام: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

ثم من الأمور التي لها دلالتها على شخصيّة جوته أنه ظلَّ مؤمِناً بهذه العقيدة (التسليم بمشيئة الله) حتى عندما أصابته أقسى ضربات القدر وعضته نوائب الدهر. فعندما توفي راعيه وصديقه أمير البلاد الدوق كارل أغسطس، لم يكن منه إلا أن قال لمحدثه اكرمان وهو يتنهد حسرة ويرفض أيّ عزاء أو مواساة: "إنها مشيئة الله التي اختارها بحكمته، أما نحن البشر الفانين فلا نملك إلا التحلي بالصبر". كما كان يؤمن في كل

إلى الشرق منبع الحب والطهر والحق والصفاء، ولا بد من الهرب، من الجحيم إلى الجنة.

الخاتمة

تبلور مما سبق وما لا يدع مجالاً للشك أنَّ جوته رغمَ أنه أديبٌ ألمانيٌّ غيرَ أنَّ له تأثراً بالغاً بالإسلام والقرآن الكريم، انطلاقاً من تسامحه وانفتاحه العقليّ للتعرُّف على الثقافة العربيّة والإسلاميّة. وهذا التأثر ليس تأثراً بسيطاً وسطحيّاً، بل يتعدّى إلى الأمور العقديّة والإلهيّة كما حدّدها الإسلام من خلال آي الذكر الحكيم. ومن هنا تبيّنتْ لنا إسهامات جوته الكبيرة في تجلية وتقريب الثقافة الإسلاميّة إلى أبناء جلدته.

المراجع

Al-Quran Al-Karim

Goethe, Johann Wolfgang von. (1819). Al-Diwan Al-Sharqi li Al-Muallif Al-Gharbi. Terjemahan Abd Rahman Badawi.

Sudti, Abd Rahman. (1967). Al-Sharq wa Al-Islam fi Adab Goethe. Misr: Dar Al-Hilal.

Katarina Mumazn. (1995). Goethe wa Al-'Alam Al-'Arabi. Terjemahan 'Adnan 'Abbas Ali. Semakan Abd Ghafar Makawi. Kuwait: 'Alam Al-Ma'rifah.

Al-Sayyid Al-Iraqi. (1990). Al-Athar Al-Islami fi Diwan. Al-Kaherah: Al-Matbaah Al-Arabiyyah Al-Hadithah.

Nasir Ahmad Sanah. (25 Februari 2014). Lauhah Zaitiyyah Qadimah li Al-Adib Al-Almani. Goethe wa Al-Islam. < http://www.quran-m.com >.

٤. **تأثّره في الدعاء**. قد اكتشف ناصر أحمد سنه (د.ت) أنَّ مِن أكثر ما تأثّر به جوته هو الدعاء، كما لاحظته كاتارينا انتصاف مقاطع جوته الشعرية ما بين الاقتباس القرآنيّ، وما بين كلامه هو؛ وهو ما ظهر جلياً في ديوان الغرب والشرق (غوته..والإسلام. ٢٥ فبراير ٢٠١٤). وذلك الدعاء من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾(سورة طه: ٢٠: ٢٥-٢٨).

٥. **تأثّره في تشبيه حال نفسه (جوته) بالفتية "أصحاب الكهف"**. من الملاحظ أيضاً أن جوته يُحِسُّ بغرابة الواقع الذي يعيش فيه، وبأنّه هو نفسه، غريبٌ، وكأنه يريد أن يشبّه نفسَه بالفتية "أصحاب الكهف" في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا، وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف:١٧-١٨)، حين عادت إليهم الحياةُ، فيرى أن الغرب مضطربٌ، ولا مفرَّ من الهجرة